

دور الإعلام العلمي في نشر لغة التخصص العربية

جهد الغرام وسمير حراث

جامعة المدية

مقدمة

لغة التخصص أو ما يطلق عليها البعض لغة الأغراض الخاصة "ضرب مقنن ومنمط من ضروب اللغة يستعمل لأغراض خاصة وفي سياق حقيقي؛ أي يوظف لإيصال معلومات ذات طابع تخصصي على أي من المستويات: على أكثرها تعقيداً، أي بين الخبراء العارفين، أو على المستوى الأقل تعقيداً؛ بهدف نشر المعرفة بين المهتمين بالحقل، وتلقيهم أصوله وذلك بأكثر السبل إيجازاً ودقة ووضوحاً، وهنا يأتي دور الإعلام في نشر هذه المعلومات وإيصالها، فلم تعد هناك لغة في عالمنا تستطيع ان تنمو وتتطور بمعزل عن الثورة المعلوماتية، أين برزت الكلمات المستحدثة في اللغة تنتقل بين العلماء والباحثين في تفاعل دائم مع بعضها البعض لخدمة البحث العلمي.

وعليه، سنحاول من خلال هذه الدراسة عرض معوقات نشر لغة التخصص العربية، ومقارنتها بواقع البحث العلمي في بعض الدول المتقدمة علمياً وتكنولوجياً، هذا الواقع الذي لا يكاد يخفى على احد، والذي بدوره يدفعنا للتفكير والبحث دوماً في أسباب التراجع العربي في نشر لغتها العلمية التي كانت في عصور سابقة من اهم واكثر اللغات شيوعاً في مجال البحث العلمي، ذلك من خلال التعرف على حقيقة هذه المشكلات ومحاولة تشخيصها في ضوء إمكانيات العالم العربي المادية والبشرية، كما تهدف الدراسة اقتراح حلولاً لهذه المشكلات وفق هذه الإمكانيات المتاحة لرفع مستوى اللغة العربية في مجال البحث العلمي.

أولاً: الإعلام العلمي

يخضع العلم كمجال من مجالات الثقافة الى نظام معين من التفاعلات كالنقد و التقييم و الدحص والحوار و الإقناع، و تتجسد داخل اطر منظمة كالمجلات العلمية و المؤتمرات ، او داخل اطر غير منظمة كالتواصل الشخصي بين الباحثين و غيرها، و تقتضي هذه التفاعلات نظام وسائطيا اجتماعيا يتمثل في الباحثون لشرعة المعرفة ، و وسائط تقنية تتمثل في وسائل الإعلام المتعددة و المتنوعة و التي أتاحت الفرصة لإشاعة المعرفة العلمية و إتاحتها.

و يمثل العلم من جهة بناءه الاجتماعي و الوسائطي ظاهرة تداولية و تواصلية، و من هذا المنطلق يمكن الحديث عن الإعلام ووسائله كنظام فعال ومهم في عملية التبادل العلمي و أالمعلوماتي بين الباحثين، و تتسم هذه الوسائط بتنوعها و تغييرها اذ تشمل وسائط كلاسيكية كالمجلات العلمية المطبوعة و المدونات وغيرها، و أخرى حديثة كالمجلات الكترونية و الشبكات الاجتماعية ، كما تشمل هذه الوسائط مؤسسة تنظمها معايير صارمة كالمجلات العلمية المحكمة سواء مطبوعة أو الكترونية، و وسائط أخرى تخضع بالضرورة إلى معايير محددة و معلومة كالمدونات والشبكات الاجتماعية.

بالتوازي مع تنامي الإعلام العلمي تعاظمت الاستراتيجيات الإعلامية ذات العلاقة بالمجال العلمي، و يرى **بيار فايارد (Pierre Fayard 1988)** إن هذه الاستراتيجيات تشكل ما يسميه الاتصال العلمي العمومي تتجاوز ما يسمى التبسيط العلمي التي تعبر من الناحية المفهومية عن التنوع الذي أضحي يتسم به الحضور الإعلامي للعلم في الفضاء العام، و التي أضحي يستمد آليات من تقنيات الإعلان و العلاقات العامة والصحافة و التعليم و تقنيات الحملات الاتصالية في مجال الرأي العام، فإن تنامي الإعلام العلمي يأتي في إطار سياق مجتمعي ، وهو ظهور الحاجة اجتماعيا و ثقافيا للمعلومات العلمية بعد تنامي حضور العلم في الحياة اليومية للأفراد و

تعاضم مخاطر التكنولوجيا و التطبيقات العلمية، كما أن تحول الإعلام إلى آلية شاملة توظفها كل المؤسسات الاجتماعية و الاقتصادية و الثقافية مما يهدف بالمؤسسات العاملة في مجال العلم (كالمخابر العلمية و المؤسسات الأكاديمية و الثقافية) لمحاكاتها عبر آليات التسويق و العلاقات العامة بحثاً من جهتها عن صورة إعلامية من خلال الحضور في الفضاء العام (1).

وفي هذا السياق، يجدر بنا أن نشير أيضاً إلى عامل التحولات التكنولوجية السريعة التي تخلق نوعاً من الحاجة إلى المعلومات كشرط من شروط استخدامها الذي شجع على تطبيق نماذج تمثيل المعلومات على النشاط المعرفي، و بالتحديد الحاسوب الآلي، الذي منح المقرب الإعلامي المصادقية و صفة العلمية، و تتمثل المقاربة في فرضية مفادها أن المعرفة الإنسانية هي التلاعب بالرموز على طريقة الحواسيب الرقمية، بعبارة أخرى المعرفة هي تمثيل ذهني لبعض ملامح العالم أو العالم كله (2).

و بهذا المعنى يعكس الاهتمام بالإعلام العلمي حضور مختلفا للعلم في الفضاء العالمي و يعكس اندماج العلم و التكنولوجيا في الحياة الاجتماعية ، يتجسد هذا الحضور المختلف في توظيف آليات وسائل الإعلام كوسائط تربط الباحثين ببعضهم و تربطهم بالتطورات التكنولوجية السريعة، و تربط أعمالهم العلمية مع الحياة الاجتماعية و متطلباتها اليومية، و يخضع العلم لذات الديناميكية تسهم في إعادة حضور العلم في الفضاء الإعلامي و تشمل هذه الديناميكية مجالات عدة كالصحف و المجلات و الانترنت و التلفزيون و غيرها.

ثانياً: الوسائط الإعلامية المستخدمة في نشر لغة التخصص

إن أساس الرسالة الإعلامية هي اللغة لأن كل ما يكتسبه الفرد و يتعلمه يصل إلى عقله و وجدانه من خلال اللغة، و لقد كان هذا الارتباط الوثيق بين اللغة و الإعلام وراء اهتمام الدول المتقدمة بالوسيلة الإعلامية لنشر لغتهم بين المجتمعات و السيطرة عليها ثقافياً، باعتبار أن اللغة نمطاً مهماً من الأنماط الثقافية لأنها وسيلة للتفاهم و التواصل ، إذ أنها تشمل كل ما

يعبر به الإنسان عن فكرة أو انفعال أو موقف، فالصورة لغة، والأشكال المرسومة لغة، والإشارات البصرية و السمعية لغة، ومن هنا جاءت أهمية الوسائط الإعلامية في نشر اللغة المتخصصة التي يحتاجها الفرد في حياته اليومية ، ونشرح على سبيل الذكر لا الحصر أهم هذه الوسائط ، وهي:

أ- الانترنت: يعتبر الانترنت من ابرز وسائل الاتصال الجديدة فتطبيقاتها المتعددة جلبت أعدادا كبيرة من المستخدمين في ظرف وجيز، فهي القادرة على توفير معلومات بكل اللغات و الأشكال، و عليه تم استغلال الانترنت من خلال منظومات اتصالية و إعلامية متعددة لها وربطها بالبحث العلمي، إذ أوجدت هذه الوسيلة آليات جديدة للتواصل بين الباحثين و تبادل المعارف بينهم، و في هذا السياق يمكننا ملاحظة ممارسات الباحثين لى شبكة الانترنت من فهم العلاقة العضوية بين البحث العلمي و الممارسات التواصلية للباحثين، اذ يستخدم الباحثون كل التطبيقات المتوفرة على الشبكة العنكبوتية لتوسيع مجال الاتصال العلمي و تنويع وسائطه و سهولة النفاذ إلى البحث العلمي و نتائج(3).

ب-المدونات: المدونة تطبيق من تطبيقات شبكة الإنترنت، وهي تعمل من خلال نظام لإدارة المحتوى، وهو في أبسط صوره عبارة عن صفحة ويب على شبكة الانترنت تظهر عليها تدوينات (مداخلات) مؤرخة ومرتبطة ترتيبا زمنيا تصاعديا ينشر منها عدد محدد يتحكم فيه مدير أو ناشر المدونة، كما يتضمن النظام آلية لأرشفة المداخلات القديمة، ويكون لكل مداخلة منها مسار دائم لا يتغير منذ لحظة نشرها يمكّن القارئ من الرجوع إلى تدويته معينة في وقت لاحق عندما لا تعود متاحة في الصفحة الأولى للمدونة، كما يضمن ثبات الروابط ويحول دون تحليلها، تمثل المدونات مصادر معلومات هامة حول نشاط البحث العلمي ، تمكن أصنافا عديدة من الجمهور من متابعة التطورات العلمية في مجال بحثي ما (الباحثين ، والصحفيين المتخصصين والطلاب و غيرها)، و يأخذ التدوين الأكاديمي أشكالا متعددة جماعية أو فردية، إذ يمكن أن ينشر الباحث

مدونته الخاصة في منصات التدوين الجماهيرية، كما يمكن أن تكون التدوينة خاصة بالباحث أو تعكس آراء باحثين آخرين، و يشترط البحث موضوع التدوين أن يكون قد خضع لمعايير التقييم العلمي، يمكن على هذا النحو من متابعة سريعة و يسيرة للتدوين في مجال البحث العلمي المحكم(4).

ج-استخدامات الفيديو و التلفزيون: تعاضم استخدام الفيديو خصوصا على شبكة الانترنت يعود لأسباب عديدة، منها انتشار و نقص تكاليف وسائل الفيديو، و انتشار الارتباط ذي السعة العالية الذي ييسر عمليات تحميل و مشاهدة الفيديو، و انعكس على هذا التحول على الاتصال العلمي مما ساهم في تكاثر المضامين العلمية بالفيديو التي تقوم على آليات مبتكرة، انتشر استخدامها في البرامج التلفزيونية التي تنوعت معالجتها للظاهرة العلمية إلى حد إخضاع العلم إلى آلية المشاهدة التفاعلية من خلال تلفزيون الواقع، وفي هذا السياق تلعب اللغة الدور الأساسي في إيصال الرسالة الإعلامية، فان اللغة كالألمانية تشكل عائقا في عملية إيصال المعلومات إلى المتلقي في الوطن العربي، بالمقابل البث التلفزيوني باللغة الفرنسية أو الانجليزية يشكل خطرا أساسيا على اللغة العربية خاصة وأنها تعاني ندرة المعلومات التي معظمها مستورد من الغرب نفسه (5).

د-المجلات و الصحف العلمية: يعكس النشر العلمي في شكله الورقي و الالكتروني حالة الإنتاج الفكري التي تمثل الوظيفة الرئيسية للبحث العلمي، و تعتبر المجلات و الدوريات العلمية احد أهم مخرجاته ، ويمثل المؤشر الأهم لجودة و حجم النشاط العلمي البحثي، كما ساهم الاهتمام بمختلف وسائل الإعلام في المجتمعات في ظهور صحافة متخصصة في الإعلام العلمي على غرار الصحافة الاقتصادية و الرياضية والثقافية، كما تجسد في اهتمام الإعلام بالقضايا العلمية والتحليل للرهانات الاجتماعية و الاقتصادية والثقافية للعلم، التي ترمي إلى أهم تأثيرات التكنولوجيا و العلم على حياة الأفراد و الجماعات، و تنوعت بالتالي أشكال الصحافة العلمية من خلال إنشاء الصفحات المتخصصة أو الملاحق في الصحف اليومية و

المجلات الأسبوعية و ظهور مجلات متخصصة، تستخدم المجلات الورقية و الالكترونية للتعريف بنفسها وسياساتها التحريرية، كما تعمل بعض المجلات على إتاحة أرشيفها إما بشكل مجاني أو بمقابل، وكل هذا يصب في نشر لغة التخصص التي تخدم الباحث و الطلاب الذي فتح المجال للنشر باللغات الأخرى على حساب اللغة العربية التي لم تسهم في استخدام هذه الوسائط في عملية نشر الصحف و المجلات المتخصصة (6).

ثالثا: الإستراتيجية الدولية في مجال نشر اللغة

لقد جعلت شبكة الإنترنت شعوب العالم بأسره أكثر وعيا بطغيان اللغة الإنجليزية، حيث كشفت عنه بصورة سافرة ، فإن الرصيد الإستراتيجي الثقافي للبشرية جمعاء صار مهددا وينذر البعض أن تكنولوجيا الاعلام الحديثة كادت أن تقضي على التنوع الثقافي بقدر يفوق ما فعلته تكنولوجيا الصناعة بالتنوع البيولوجي، ما إن أدركت القوى الغربية الأهمية البالغة للإعلام في اقتصاد ما بعد الصناعة حتى أخذت تشحذ أسلحتها اللغوية، و تهئية صراع دولي متوقع على ساحة الثقافة، لقد فتح الإعلام الباب على مصراعيه أمام الولايات المتحدة لكي تجعل من شيوع اللغة الإنجليزية رأس الحربة في تنفيذ مخططاتها لسيادة العالم معلوماتيا وثقافيا، واقتصاديا، وبفضل الإنترنت تلك الشبكة الكوكبية التي تطفو على طبقات من اللغة نافذة ومتراكمة استعادت الولايات المتحدة حلمها الذي كادت أن تفقده بأن يصبح القرن الحالي «قرنا» رمزيا «أو» «قرنا لغويا» (حيث سيكون للرمز واللغة فيه سلطة تفوق جميع السلطات).

تمارس الولايات المتحدة سيطرتها حاليا من خلال مؤسساتها الإعلامية والاقتصادية والتكنولوجية، وأساليب عدة ومبتكرة من الضغط اللغوي لا ترحم أحدا عدوا أو حليفا، فعلى صعيد اللغة الفرنسية و التي كانت في وقت سابق منارة العالم الثقافية تترنح أمام الإعصار الثقافي الذي يهب عليها عبر الأطلنطي، وعلى صعيد التكنولوجي تكاد اليابان قطب صناعة الإلكترونيات أن تعلن انسحابها من صناعات البرمجيات تحت وابل البرامج

ونظم المعلومات الإنجليزية الذي يرد إليها عبر الأطلسي، وهو الأمر الذي جعل اليابان تولي اهتماما شديدا بأمور الترجمة الآلية أملا في كسر عزلتها اللغوية التي فرضتها عليها لغتها الفريدة، ولا يختلف موقف ألمانيا كثيرا عن فرنسا واليابان سواء على جبهة الثقافة أو الصناعات التكنولوجية، وأظهرت مدى خطورة العامل التكنولوجي في التعجيل بحركة انقراض اللغة العربية، و حسب الإحصائيات الآتية تظهر جليا سطوة اللغة الإنجليزية في مجال الإعلام، نذكرها كالآتي(7):

- ٦٥ % من برامج الإذاعة باللغة الإنجليزية.
- ٧٠ % من الأفلام ناطقة بالإنجليزية.
- ٩٠ % من الوثائق المخزنة في الإنترنت بالإنجليزية.
- ٨٥ % من الوكالات الهاتفية الدولية تتم بالإنجليزية.

و تمثل بالمقابل إستراتيجية الاتحاد الأوروبي في مجال نشر لغة التخصص من خلال الاتصال العلمي نموذجا جيدا لدراسة الاستراتيجيات المؤسسية في مجال الإعلام اللغوي، و تقوم إستراتيجية الاتحاد الأوروبي على مبدأ رئيس يقر بالعلاقة العضوية والمتينة بين اللغة و نشر العلم و تيسير النفاذ إليه، ذلك أن فعالية العلم مرتبطة من هذا المنظور بمدى نشر اللغة الفرنسية و الألمانية بين مختلف الفئات البحثية (باحثون، طلاب، أوساط اقتصادية و غيرها)، وانطلاقا من أهمية نشر اللغة اعتمد الاتحاد الأوروبي على النفاذ الحر للمعلومات، ووضع الاتحاد الأوروبي عام 2007 برنامجا متكاملا لدعم النشر العلمي الإلكتروني، و ارتكز هذا البرنامج على معطى هام يتمثل في إن 90% من المجالات العلمية أصبحت متوفرة على شبكة الانترنت، و انطلاقا من هذا المعطى تقوم الإستراتيجية الأوروبية على تشجيع الإعلام العلمي من خلال إطلاق مبادرات في مجال النفاذ الحر للمعلومات عبر الإتاحة الإلكترونية التي يمولها الاتحاد الأوروبي، كما أطلق برنامجا تجريبيا لاعتماد منح لمجموعة من الباحثين لنشر أطروحاتهم

ودراساتهم باللغة الأجنبية في مواقع الكترونية علمية مفتوحة من طرفهم لمدة لا تتجاوز عام ، و إدراج مقالاتهم في القوائم البيبلوغرافية الالكترونية، و تهدف هذه الإستراتيجية لإرساء منظومة للنشر الالكتروني باللغات الأجنبية بهدف إتاحة البحوث العلمية التي تمويلها الأوروبية من أجل فرض لغتها على صعيد البحث العلمي، و في هذا الاتجاه تمثل السياسة الأوروبية في مجال الاتصال نموذجا جيدا للآليات التي يمكن المؤسسات أن توظفها لتطور الإعلام اللغوي و من هذه الآليات: المؤتمرات العلمية و التقارير حول حالة الإعلام العلمي والمراسد المتخصصة في الإعلام العلمي(8).

رابعاً: واقع الإعلام العلمي في الوطن العربي و انعكاساتها على لغة التخصص

إن الإعلام العلمي العربي بقي مترنحاً بين مطرقة تراجع قيم العلم والتكنولوجيا عموماً داخل المجتمعات العربية، وعدم الاعتداد بالثقافة الجادة، ومشكلة الفقر في الإمكانيات والكوادر و تكريس الاهتمام على الإعلام الترفيهي والاستهلاكي، فإن المؤشرات المتاحة تقول أن حجم الإعلام العلمي العربي يعد ضئيلاً للغاية ولا يكاد يذكر إذا ما تمت مقارنته بحجم الإعلام الترفيهي مثلاً، فالإصدارات العلمية المتخصصة إما غير موجودة أو في أحسن الأحوال نادرة حتى داخل أكبر بلدان العالم العربي، والمساحات المخصصة لأبواب العلوم في الصحف والمجلات العامة والتلفزيون ضئيلة.

إذا ما نظرنا إلى المحتوى الذي يقدمه الإعلام العلمي العربي فسنجد أنه يتبنى أكثر من خطاب أو منهج في العمل والممارسة الإعلامية، و تحديداً هناك مجموعة من لغات الخطاب أو المناهج هي (9):

- الخطاب التعليمي والخطاب التسويقي والدعائي.
- الخطاب التقني الصرف للمحترفين و المتخصصين.

● خطاب المرايا: مرآة عاكسة لمحتوى وسائل الإعلام الأجنبية عبر الترجمة.

● الخطاب الإخباري القائم على المنتج الإعلامي الغير جاد.

لم تأت مناهج الخطاب في الإعلام العلمي العربي مصادفة أو من الفراغ، ولم تكن وليدة أصحاب القرار داخل وسائل الإعلام العربية وحدهم، بل كانت انعكاسا تلقائيا لوضعية العلوم والتكنولوجيا داخل المجتمعات العربية نفسها، فهذه المجتمعات لا تمتلك حتى الآن رؤية واضحة متكاملة تحظى بقبول وفهم مشترك وتوافق عام من قبل المجتمع والدولة وجميع الأطراف المعنية حول قضايا العلوم والبحث العلمي ودور كل طرف حيال هذه القضية وما عليه من واجبات وما له من حقوق، فهذه المجتمعات لم تحدد لنفسها سياسات واضحة للعلوم والبحث العلمي الذي اوجد إعلام علمي مقطوع الصلة تقريبا بقضايا التنمية ويميل إلى ثقافة الاستكانة، ويتصور أن دوره نشر المحتوى العلمي وكفى دون رؤية نقدية أو موقف من أية قضية، فغابت عن ساحة الإعلام العربي فكرة تناول قضايا علمية رصينة ذات صلة بقضايا تنمية حقيقية.

و عليه، إن العلاقة بين اللغة العربية والإعلام العلمي أضحت تشكل ظاهرة لغوية جذيرة بالتأمل، تمثل في شيوخ الخطأ في اللغة وتقشيه على ألسنة الناطقين بها، والتداول الواسع والتراكيب والصيغ والأساليب التي لا تمت بصلة إلى الفصحى، والتي تفرض نفسها على الحياة الثقافية والأدبية والإعلامية، فيقتدي بها ويُنسج على منوالها الإعلام العلمي على حساب الفصحى التي تتوارى وتنعزل إلا في حالات استثنائية، وبذلك تصبح اللغة الهجينة هي القاعدة، واللغة الفصيحة هي الاستثناء، وهذا مظهر سلبي للظاهرة (10).

إن هذا التشخيص للعلاقة بين اللغة والإعلام في هذه المرحلة الحافلة بالمتغيرات الإقليمية والدولية الحاسمة يعتبر الوضع خطير بالمقاييس جميعاً، وبالمعاني كلها ومن عدة وجوه، ولكن هذه الخطورة لا تمنع من معالجة الخلل وتطهير البيئة اللغوية

من التلوث، وإفساح المجال أمام تنمية لغوية يُعاد فيها الاعتبار إلى الفصحى، وتستقيم فيها حال اللغة، بحيث تقوم العلاقة بينها وبين الإعلام على أساس سليم، فيتبادلان التأثير في اعتدال وفي حدود معقولة، فلا يطغى طرف على آخر، بحيث تبقى اللغة محتفظة بشخصيتها، ويظل الإعلام يؤدي وظيفته في التنوير والتثقيف والترفيه النظيف، فيتكامل الطرفان وينسجمان، فتصبح اللغة في خدمة الإعلام، ويصبح الإعلام داعماً لمركز اللغة (11).

خامساً: أسباب ضعف الإعلام العلمي في نشر لغة التخصص العربية

لقد عقدت عدة حلقات دراسية لمناقشة الاسباب الكامنة وراء ضعف علاقة بين البحوث العلمية المنشورة باللغة العربية والاحتياجات الدولية في التطور العلمي، و دلت نتائج هذه الاجتماعات والحلقات الدراسية على مدى اتساع الهوة بين اللغة العربية و التطبيق في مجال البحث العلمي ، كما أوضحت مدى الحاجة إلى تطوير استخدام اللغة العربية على المستويات الإقليمية والدولية، و من أهم الأسباب التي أدت إلى عدم تمكن لغة التخصص العربية من فرضها دولياً و كذلك إقليمياً، يمكن حصرها في الآتي(12):

- فقدان و ضياع الكثير من الاعمال و النتائج و المعلومات البحثية في مجال البحث العلمي و عدم التعريق بها و الاستفادة منها.
- تشتت و بثررة المعلومات البحثية، و عدم تجانسها و توحيد أنماط إعدادها و تعدد الجهات والباحثين المحققين بها دون نشرها ، مما يؤدي إلى صعوبة تنظيمها و أرشفتها و توثيقها لتسهيل العودة إليها من قبل الباحثين الآخرين عند الضرورة لاستخدامها و الاستفادة منها ، و كذلك عدم تطبيقها في الوقت المناسب والمكان و الشكل المناسب أيضاً.
- تكرار تخطيط و تنفيذ بعض الأعمال و الأنشطة البحثية المشابهة لما جرى تنفيذه فعلياً ، و ذلك من قبل باحثين آخرين

في مؤسسات و قطاعات أخرى، غالبا بسبب عدم وعيهم أو علمهم بتنفيذها أو بوجود نتائج منشورة حولها، و هذا الأمر يعني خسارة البلاد العربية للكثير من الوقت و الجهد و الإمكانيات المادية والمالية التي يتم ضياعها في تكرار أعمال لا داع لتكرارها أصلا.

● عدم اهتمام الباحثين العرب في و رفع مستوى مهارتهم و معارفهم في مجالات الاتصال و النشر العلمي والإعلام النوعي التخصصي لتسويق أفكارهم و نتائج بحوثهم و دراساتهم و عرض مخرجاتها، و عدم اعتماد الطرق و الأساليب و التقنيات المناسبة لشرح أعمالهم العلمية وكيفية الاستفادة منها.

يضاف إلى هذه الأسباب استلاب النخب المتنفذة في البلدان العربية، و فئات وشرائح عريضة من الباحثين إزاء اللغات الأجنبية واعتبارها أداة للتقدم والتحضر و العصرنة، وكان من نتائج ذلك أن وجهت السياسات التربوية والثقافية والاجتماعية إلى اعتماد اللغة الأجنبية بدل العربية في مجالات التعليم والتكوين، ولاسيما في جوانبهما العلمية والتقنية والمهنية، وقد كان للاستعمار كما هو معروف، دور بارز وخطير وذلك من خلال سياساته التربوية والثقافية والاجتماعية التي مارسها في وطننا العربي ، وأثار سلبية ما تزال شروط إعادة إنتاجها تقزز حتى الآن، ولاسيما تحت إكراهات وتحديات ومفاعيل العولمة الضاغطة(13).

تتطلب عملية تسليط الضوء على الأسباب الكامنة وراء ضعف الإعلام في نشر لغة التخصص العلمية في الوطن العربي ، الكشف عن الجهات و الأطراف المسؤولة عن ضعف واقع البحث العلمي في الوطن العربي الذي انعكس جليا على منظومة الاتصال و النشر العلمي، التي أصبحت من أهم العوامل المساعدة في عملية نشر اللغة العربية، فان الاتصال و النشر العلمي رغم تنفيذ الكثير من البرامج و الأنشطة البحثية والدراسات العلمية والمسوح الميدانية في بلادنا العربية خلال العقود الماضية ، و من قبل مؤسسات عديدة في قطاعات مختلفة

، لوحظ أنها لا تتحقق أهدافها في الوصول إلى فئات المستفيدين ، لأسباب عديدة ، ومن بين أهم تلك الأسباب على سبيل المثال لا الحصر، مشكلة غياب آلية فاعلة لتدفق المعلومات داخل أو خارج الأجهزة البحثية و الأكاديمية، و كذا مشكلة الافتقار لمقومات ولركائز و متطلبات الإعلام العلمي والنشر التخصصي النوعي والفاعل كالإطار المؤسسي أو الكوادر المتخصصة في هذا المجال أو الموازنات، والتجهيزات والمعدات، إضافة لما تقدم يمكن أن نذكر العديد من الإحصاءات التي تدل على مدى فجوة النشر العلمي في الوطن العربي مقابل الدول المتقدمة، وهي كالآتي(14):

● نسبة البلدان العربية من النشر العلمي لا تتعدى 0.7%، أي أقل من سدس نسبة الباحثين العرب، فان ما ينفق الوطن العربي على البحوث و التطوير 0.2% من إجمالي ناتجة المحلي، أي ما يعادل سبع المتوسط العالمي 1.4%، و معدل الإنفاق على البحوث و التطوير لكل نسمة في الوطن العربي يعادل 6 دولارات مقابل 953 دولار في الولايات المتحدة، و 40 دولار في الصين.

● إنتاج العرب من الكتب لم يتجاوز 1.1% من الإنتاج العالمي على الرغم ان العرب يشكلون نحو 4.5% من سكان العالم، أما فيما يتعلق بالإنتاجية العلمية فان الإحصائيات و التقديرات تشير إلى أن ما ينشر بالوطن العربي سنويا لا يتعدى ألف بحثا لو قسناه إلى عدد أعضاء هيئة التدريس بالجامعات، لتبين أن معدل الإنتاجية يبقى في حدود 0.2- 0.5 % بحث في السنة على مستوى الوطن العربي مقارنة بإنتاجية الباحث سنويا في الدول المتقدمة التي تتجاوز 1.5 % بحثا، و هو وضع متردي، إذ لا يمثل إلا 10% من معدلات الإنتاجية مقارنة بالدول المتقدمة.

إن الحقيقة التي يمكن أن تكشف عنها هذه الأرقام هي إدراك الدول المتقدمة أهمية البحث العلمي وضرورته في نشر لغتها لفرض سيطرتها على الشعوب ماديا و ثقافيا، كما تكشف هذه الأرقام كم هي واسعة تلك الفجوة التي تفصل بين واقع هذه

الدول و بين الحالة العلمية التي تعيشها امتنا العربية التي تعاني اليوم بالدرجة الأولى من مشكلة ندرة النشر العلمي وعدم توافرها بالكمية و النوعية المطلوبة، و بالتالي انقراض اللغة العربية في هذا المجال، مما اثر في التقدير الحقيقي للدور الذي يمكن أن يؤديه البحث العلمي في نشر اللغة العربية، يضاف إلى ذلك الاختلال في نظام الإعلام الدولي و تدفق المعلومات الذي يعد اخطر المشكلات التي تواجه نشر اللغة العربية المتخصصة، فان مظاهر ومعطيات التفاوت القائم على المستوى الدولي في شتى المجالات، ترتب عليه وفرة في العرض من قبل الدول الغربية، يقابله كثافة و شدة الطلب من قبل الدول العربية، ما نشأ عنه اختلال بين كم ونوع المعلومات المعروضة والمطلوبة في سوق المعلومات الدولي لصالح الدول المتقدمة وبالتالي تقدم لغتها على حساب اللغة العربية.

رابعاً : مستويات معالجة نشر لغة التخصص العربية على الصعيد الدولي

من منطلق الاهتمام المتزايد باللغة باعتبارها هوية مجتمع ما و التي من خلالها يعبر عن قوته و تقدمه، وجدت الدول وبخاصة الدول المتقدمة ان البحث العلمي هو الأكثر نفاذاً للغة بين أوساط مختلفة من المجتمعات، و إدراكاً من الدول النامية لأهمية البحث العلمي في دراسة مشكلاتها الاجتماعية و الاقتصادية و التربوية وفي التخطيط للتنمية القومية، يجب على وطننا العربي للحاق بركب التطور والتقدم الهائل و إعادة اللغة العربية الى مكانها الحقيقي بين لغات العالم معالجة معوقات التطور على ثلاث مستويات، وهي:

1- المستوى المؤسسي: تتحدد مكانة لغة التخصص بالمكانة المجتمعية للعلم اي بالقيمة التي يعطيها مجتمع ما للعلم، و تتجسد هذه القيمة في السياسات المؤسسية ذات الصلة باستثمار المؤسسات في العلم وطبيعة الآليات التي توظف لإشاعته في الفضاء العام، و في هذا الاتجاه يتوجب على المؤسسات العربية

سواء الرسمية أو الغير رسمية اتخاذ مجموعة من الإجراءات، نذكرها كالآتي:

● **زيادة ميزانيات المؤسسات العلمية:** تمثل الميزانيات المخصصة للبحث العلمي و الابتكار والتطوير والآليات المؤسساتية لنشر الثقافة العلمية عوامل ذات تأثير مباشر على نشر و فرض اللغة المتخصصة ، و عليه يجب على وطننا العربي تخصيص ميزانيات مقبولة وسخية للبحث العلمي لا تقل عما هو موجود في الدول المتقدمة التي تحقق رقيها ونموها عن طريق العلم والبحث العلمي، فلا تقل تلك الميزانيات عن 2% من الدخل القومي، إن هذا هو ما تفعله الدول التي حققت معدلات ملفتة في النمو (15).

● **ضرورة التعاون العربي في المجال العلمي:** ضرورة التعاون العربي في المجال العلمي، وتبادل الخبرات والمعلومات بشأنها، الأمر الذي يساعد على توحيد المفاهيم في الوطن العربي، ونشر الخبرات بين الباحثين، و تبادل الخبرات في المجالات العلمية، والاستفادة من الخبرات المتوفرة في هذا المجال، و إبراز جهود المجموعة العربية أمام المجتمع الدولي كمجموعة عربية واحدة لها خطة إستراتيجية للنهوض بمجتمعاتها، والعمل المشترك سواء على نطاق الدولة أو الأقاليم، لتذليل العقبات التي تواجه التعليم العالي و البحث العلمي في الوطن العربي حاضراً ومستقبلاً.

2- المستوى المعرفي: تمثل أشكال تنظيم المجتمعات البحثية من الناحية المعرفية عاملاً محدداً في نفاذ لغة التخصص أو تحجيمها، فالنشر العلمي داخل المجتمعات البحثية يرتبط باليات البحث الجماعي التي تبتعد بالباحث عن الفردية والعزلة والانكفاء، و يتحدد بالأطر الجماعية للبحث و التفكير والتبادل الضروري لسريان المعرفة، الذي يتجسد من خلال مجموعة من العوامل أهمها:

● **تشجيع العلماء و الباحثين:** ضرورة رعاية مؤسسات البحث العلمي و الباحثين من لدى أعلى السلطة في الدولة، من خلال

الدعم المادي و المعنوي و توفير ادوات و اجهزة البحث الحديثة، وتكوين الكوادر العلمية والفنية الممتازة من الباحثين في جميع المجالات التخصصية المختلفة، وتطوير التمويل والتسيير، ويشمل ذلك تجويد الإدارة، وتنويع مصادر التمويل، وحسن استثمار الموارد، ومشاركة الباحثين و المؤسسات العلمية الفاعلة في عملية تطوير البحوث العلمية على المستويات الوطنية والقومية والدولية مع الأخذ بعين الاعتبار التطورات التكنولوجية.

● **ملائمة البحوث العلمية لاحتياجات المجتمع:** الاستقرار في مجالات البحث العلمي، وفق خطة وطنية، تأخذ في الحسبان أولويات الحاجة الاجتماعية للعلم والتقنية، تربط البحث العلمي بأهداف التنمية الشاملة، وضرورة التكامل بين السياسة الثقافية والسياسة الاتصالية، و تحقيق الملائمة والتلاقي بين ما تقدمه مؤسسات التعليم العالي، وما يتوقعه المجتمع منها، و وضع رسالة محددة لدور البحوث العلمية متلائمة مع روح العصر والتطورات الحديثة المتواصلة ، وتحديد إستراتيجية عمل مستندة إلى رؤى متقدمة لوظائفها، فالبحث العلمي الحقيقي هو ما كان معالجاً لقضايا المجتمع الجوهرية والأساسية، التي لا يصح أن تصرف عنها الأذهان، كما ولا يصح أن لا تصرف الأموال في مشاريع أبحاث لا تمت إلى واقع وحياة المجتمعات بشيء.

● **توفير الاتصال و التواصل بين العلماء:** العمل على تطوير الموارد البشرية في مجال الاتصال والنشر والعلمي، وتبني برامج تدريبية و فعاليات أخرى، تصب في نفس الاتجاه كالدورات أو ورش العمل التدريبية، ولاسيما في المجالات ذات الصلة المباشرة كمهارات الاتصال والمعلوماتية و نظم المعلومات، ومهارات الاتصال الشخصي للباحثين والعلماء في أوساط الأفراد والجماعات، و ضرورة النفاذ الحر إلى المعلومات وصناعة المحتوى العربي يعتبران شرطين أساسيين لجسر الفجوة الرقمية وإرساء مجتمع المعرفة في وطننا العربي، ذلك أن الوصول الحر للمعلومات من شأنه أن يسهل تقاسم

المعرفة بين جميع الشعوب وكذا تقاسم نتائج البحث العلمي بين المجتمعات العلمية الدولية والعربية بما يسمح بإثراء المعرفة الإنسانية، وضرورة إنشاء شبكة من المعلومات في مجال البحوث، وكذلك بذل الجهد وتوفير الإمكانيات للمحافظة على استمرارية وصول الدوريات الخارجية، وإصدار الدوريات المحلية.

3- المستوى الإعلامي الوسائطي: إن الإعلام و وسائطه أصبح من اهم الوسائل التي تدفع لحضور القضايا العلمية في الفضاء العام و عاملا محددًا في نفاذ لغة التخصص او تحجيمها على الصعيد الدولي، وعليه يجب إعادة أشكال المعالجة الإعلامية السائدة في الوطن العربي من زوايا عديدة، خاصة مسائله تعاطي وسائل الإعلام العربية مع العلم من الصحافة المكتوبة الى التلفزيون و الانترنت، و مقاربة الخطاب الإعلامي حول العلم من زاوية مضامينه التحريرية و القضايا المطروحة و الأساليب الفنية، و تحليل أشكال تلقي الإعلام العلمي و تفاعل مختلف أصناف الجمهور سواء إقليمي أو دوليا مع المضامين الإعلامية العلمية باللغة العربية ، و ذلك باتخاذ مجموعة من الإجراءات ، اهمها:

● **الإدارة الفاعلة و الرشيدة:** على القائمين بالبحث العلمي في الوطن العربي إدارة المشاريع ذات الصلة بنشر الثقافة العلمية باللغة العربية من خلال استخدام تقنيات الوسائط الإعلامية المتنوعة الموظفة في الاتصال الثقافي بين شعوب العالم ، و ضرورة وضع إستراتيجية للاتصال و العلاقات العامة التي تنتهجها المؤسسات الفاعلة في المجال العلمي، و إعداد الحملات الاتصالية والإعلامية نحو الجمهور الواسع داخليا وخارجيا من خلال استخدام آليات و مناهج الاتصال، و من هذا المنطلق على الباحثون في علوم الإعلام والاتصال دراسة أشكال المعالجة الإعلامية للظاهرة العلمية من خلال دراسة الإعلام الدولي في هذا المجال من جهة خصوصية خطابها حول الظاهرة العلمية و وسائطها الإعلامية و أشكال تلقيه، و تحليل الاستراتيجيات الاتصالية المؤسسية واستكشاف الرهانات الثقافية للغة العربية

بين ثقافات المجتمعات العالمية و طرق التواصل معها في إبرازها فاعليتها و مكانتها.

● **إعداد الكوادر الإعلامية المتخصصة:** يتطلب نشر اللغة المتخصصة وجود كوادر بشرية مدربة ومبدعة، فمهما كانت البنية التحتية من مختبرات و مستلزمات فلا إبداع بدون وجود الإعلامي المتخصص المهيأ لاستخدام الوسائط الإعلامية ، و للطرق الاتصالية التي سيقدم من خلالها الخطاب الإعلامي للمتلقي باللغة العربية لإبراز مكانتها و أهميتها في الحقل العلمي، و من هنا على الإعلاميين العرب المتخصصين في المجال العلمي مسؤوليات يجب القيام بها، منها المشاركة و بصفة دورية منتظمة ومتكررة في إبراز البحوث العلمية ، و تلك المهام ما يتصل بإعداد التقارير و تقديم و عرض نتائج البحوث والمساهمة في تدريب كوادر اعلامية و فنية في المجال نفسه وتأهيل الصحفيين و الإعلاميين في مجال التعريف باللغة العربية العلمية، و إعداد و كتابة ما ينشر من المقالات و الأوراق العلمية و الدراسات أكاديمية، و الكتابة المتخصصة في مجال الإعلام العلمي ، و تغطية المحاضرات و حلقات الدراسة و التغطيات الصحفية للتظاهرات العلمية و غير ذلك من الأعمال و الأنشطة المماثلة المتصلة بالعمل البحثي و المكمل له .

يضاف إلى هذه المستويات مسؤوليات على الباحث العربي يتحمل أعباء القيام بها، منها المشاركة وبصفة دورية منتظمة و متكررة في إبراز بحوثه الإعلامية ، و تلك المهام ما يتصل بإعداد التقارير و تقديم و عرض نتائج البحوث و المساهمة في تدريب كوادر بحثية و فنية في المجال نفسه ، و إعداد و كتابة المقالات والأوراق العلمية و دراسات أكاديمية ، و كذلك تقديم المحاضرات و حلقات دراسة ، و تقديم أحاديث وتصريحات صحفية و إعلامية او عمل مقابلات و حوارات إذاعية و تلفزيونية ، و غير ذلك من الأعمال والأنشطة المماثلة المتصلة بالعمل البحثي و المكمل له ، فكما سبق القول في بداية الموضوع ، إن أي عمل بحثي لا يعتبر كاملاً، ان لم يتم نشر نتائجه و التعريف بمخرجاه و تعميم توصياته.

الخاتمة

يمكن اعتبار وضعية اللغة العربية في كل البلدان الناطقة بها جزئياً أو كلياً وضعية إشكالية وغير مريحة على الإطلاق، وذلك لعدة عوامل ذاتية وموضوعية، تاريخية وراهنة، وذات أبعاد سياسية وثقافية وسوسيو تربوية معقدة ومتداخلة، أدى إلى ضعف استعمال وتداول العربية في هذه المجتمعات و على الصعيد الدولي، واقتصر هذا الاستعمال على ميادين محدودة أو ضيقة، مثل بعض أنماط التعليم الديني وما يجاوره أو يرتبط به أساساً، وما يقابلها من هيمنة اللغة الإنجليزية وذلك على اعتبارها لغة العلم والمعرفة والثقافة الحديثة، على عكس اللغة العربية التي ظلت تحتل في هذه المجتمعات مرتبة ثانوية، فإن وضع البحث العلمي في العالم العربي امتد تأثيره السلبي ليشمل اللغة العربية كذلك، بل ليشمل أيضاً مجالات التربية والثقافة والاقتصاد والسياسة والمجتمع بشكل عام، و هشاشة أو حتى غياب شبه تام للإعلام و الاتصال العلمي الذي يعمل على تنظيم أشكال التبادلات والعلاقات التي يجب أن تقوم بين اللغة العربية و البحث العلمي من جهة ، وبين اللغة العربية و اللغات الأجنبية من جهة ثانية.

إن دور الإعلام في نشر العلوم يعتبر مجالاً نوعياً جديداً يتطلب وعياً و إدراكاً بالطبيعة المركبة للظاهرة، وإلى ضرورة الاعتماد على علوم و تخصصات و خبرات مختلفة و متنوعة لفهمها، إلا أن هناك استخفاف شديداً في وطننا العربي بهذا الجانب و النظرة السطحية لدور الإعلام في نشر العلوم و المعرفة بمختلف مستوياتها، و إسناد مهام ووظائف نشر إنتاجية لغة التخصص و العلم في المؤسسات المختلفة إلى غير المتخصصين، فإن النفاذ الحر إلى المعلومات وسهولة الاتصال العلمي وصناعة المحتوى الذي يسهل تقاسم المعرفة بين الجميع بما يسمح بإثراء المعرفة الإنسانية، و يعمل على تقليل الفجوة

الرقمية بين الدول المتقدمة و العالم العربي، و يعيد إرساء الدور الحقيقي للغة العربية في البحث العلمي وطنيا و دوليا.

المراجع

- الصادق الحمامي: العلم و الاتصال -نحو اطار نظري لدراسة الاتصال في العالم العربي، الجزائر، مجلة فكر و مجتمع، العدد الرابع، افريل 2010، ص 30.
- عبد الرحمن عزي و السعيد بومعيزة: الاعلام و المجتمع رؤية سوسيولوجية مع تطبيقات على المنطقة العربية و الاسلامي، الجزائر: الورسم للنشر و التوزيع، 2010، ص 96.
- Shayne bowman, Chris Willis: We media, How audiences are shaping the future of news and information, USA: The Media Center at The American Press Institute, 2003, p 17.
- ويكيبيديا، الموسوعة الحرة: مدونة ، www.ar.wikipedia.org ، اخر تحديث 7 مارس 2013.
- عزي عبد الرحمن و مجموعة من الباحثين: عالم الاتصال، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1992 ، ص 372.
- وليم دجافي ترجمة حشمت قاسم : الاتصال اساس النشاط العلمي، بيروت: الدار العربية للموسوعات، ط1، 1983، ص 127-129 .
- نبيل علي: ثقافة اللغة. منظور عربي معلوماتي، بيروت: مجلة عالم المعرفة ، العدد 265 ، يناير 2001، ص ص 276-277.
- الصادق الحمامي: مصدر سابق، ص ص 28-29.
- جمال محمد غيطاس: الإعلام العلمي العربي وقضايا التنمية رؤية معلوماتية، الكويت: ندوة الثقافة العربية في ظل وسائل الاتصال الحديثة، 8 إلى 10 مارس 2010.

- منال محمد عبد الرحمن: ازدهار اللغة العربية عند الناطقين بها وغير الناطقين بها، دمشق: رسالة ماجستير مقدمة في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، جامعة البعث، 2010، ص 07-08.
- السيد محمود أحمد، اللغة العربية في عصر المعلوماتية، دمشق: المؤتمر السنوي اللغة العربية والمعلوماتية، مركز الدراسات الإنسانية - مجمع اللغة العربية ص 62.
- خليل منصور الشرجبي: البحوث و اهمية الاتصال والنشر العلمي، اليمن: مجلة افاق زراعية ، العدد 02 ، ماي 2006 ، ص 117-120.
- مصطفى محسن: التعريب والتنمية، المغرب: منشورات وكالة شراع لخدمات الإعلام والاتصال، سلسلة شراع العدد 56، يونيو 1999، ص 24-34.
- أنطوان زحلان: التحدي والاستجابة- مساهمة العلوم و الثقافة العربية في تحديث الوطن العربي، لبنان: المستقبل العربي، السنة الثالثة عشرة، العدد 146 ، أبريل 1991، ص 417.
- محمد مسعد ياقوت: أزمة البحث العلمي في مصر والوطن العربي، القاهرة: دار الشر للجامعات، 2007، ط1، ص 170-171.